Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

إستخدامات الناتنوغرافي في دراسة الفضاءات الإفتراضية الإشكالات المنهجية و البدائل المتوفرة للباحثين

The uses of Netnography in the study of virtual spaces Methodological problems and available alternatives

نريمان حفيان1Narimane Hafiane ، الطاهر بصيص Bessais Tahar2
1جامعة الجزائر 3 ، Alger 3 hafiane.narimane@univ-alger3.dz
2 جامعة الجزائر 3، Alger 3 bessais.Tahar@univ-alger3.dz
المؤلف المرسل :نريمان حفيان Narimane Hafiane
الإيميلhafiane.narimane@univ-alger3.dz :

تاريخ الاستلام : 2020-08-28 تاريخ القبول : 2021-01-02

ملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية للتعرف و فهم مختلف الخطوط النظرية و المنهجية للبحث النتنوغرافي، و كذا العمل على إمتلاك الباحث الحيثيات المنهجية الواجب إتباعها في الأبحاث العلمية. لتشكل إطارا منهجيا و إجرائيا، متكاملا لرصد و تحليل الأنساق و الظواهر و الممارسات السوسيوثقافية المتولدة داخل الفضاء الإفتراضي. و ذلك في سياق التحول الفعلي لحياة ضمن قرية كونية وفقا لطرح مارشال ماكلوهان في كتابه The Gutenberggx فإن دراسة الفضاءات الإفتراضية تبعا لرؤية الدارسين و المتخصصين تحتاج إلى مناهج و أدوات و أساليب تحليل لتفكيك إشكالياتها و إكتشاف مختلف المتغيرات، و هو ما يجعل الباحث يطرح تساؤل مفاده هل هذه المناهج و الأدوات و الأساليب تؤسس للإستمرارية في البحث العلمي أم للقطيعة مع المناهج السوسيولوجية التقليدية؟

كلمات مفتاحية: الفضاءات الإفتراضية،المناهج التقليدية، المناهج الحديثة، الناتنوغرافي.

Abstract :

Through this research paper ; We seek to identify an understanding of the theoretical and methodological lines of Netnography research, and to work on the researcher's possession of the methodological reasons he should follow in scientific researches, in order to form an integrated methodological and procedural framework for monitoring and analyzing the patterns, phenomena and sociocultural practices generated within the virtual space. In the context of the actual transformation of life within a global village, according to Marshall McLuhan's argument in his book The Gutenberggx, the study of virtual spaces according to the vision of scholars and specialists needs methods, tools and technics of analysis to deconstruct its problems and discover various variables, and this what pushes the researcher to ask the following question: Do these methods, tools and technics establish continuity in scientific research or make rupture with traditional sociological approaches? ? The abstract refers to the importance of research, its problems and the most important results .

Keywords: virtual spaces; traditional methods; new methods; netnography.

1. مقدمة:

باتت الفضاءات الإفتراضية **(Virtual environment)** تحتضن أشكالا مختلفة من التفاعلات الإنسانية الحركية و تحمل في طياتها أبعادا مبتكرة من التفاعلات الإجتماعية الإفتراضية و تحمل معها ممارسات و أشكال إجتماعية جديدة فأصبحت بذلك تماثل إلى حدّ بعيد نظيرتها في الفضاء الطبيعي، فهذه الأخيرة باتت فضاءات حية غير مصطنعة ذات بيئة ثرية ومتنوعة تتيح أنماط متباينة ومركبة من التفاعلات وتتمتع بالحس المكاني **(Sense Of Spatiality)**، و هو ما دفع بالعديد من الأنتربولوجيين والسوسيولوجيين و الباحثين في الإتصال إلى ضرورة التأسيس لمقاربة علمية نظرية و منهجية تمكن من فهم ماهو قائم داخل هذه الفضاءات الإفتراضية الرقمية، و أصبح التساؤل نحو طبيعة الاجراءات المنهجية التي يمكن توظيفها في مثل هذه الأبحاث التي لها طرح في عمليات تشخيصه لتتراكم بعدها محاولات الباحثين والأكاديميين من مختلف الحقول المعرفيةفي إفراز أطروحات ممهدة للبحث الناتنوغرافي**(Netnography)**

كمنهج يحاول رصد و تحليل مختلف الظواهر وفقا لخصوصية هذه الأنساق و البناءات الإفتراضية في كل الأحوال. و بات التساؤل نحو طبيعة المنهجية التي يمكن توظيفها في دراسة هذه الفضاءات الإفتراضية التي لها منطق تتحرك فيه و من خلاله، لتتراكم بعدها محاولات الباحثين من مختلف التخصصات ليبرز في الأخير ما يسمى بالبحث الناتنوغرافي كمنهج يحاول التلائم مع خصوصية هذه الأنساق و البناءات الإفتراضية و كذا محاولة فهم و استيعاب ديناميكية هذا الفضاء و منطق تحولاته. و من هذا المنطلق نحاول من خلال هذه الورقة أن نسلط الضوء على مقاربة سؤال المنهج في الفضاء الإفتراضي و طبيعة المناهج السوسيولوجية المعتمدة في دراسة مواضيع الفضاءات الإفتراضية، كما نستهدف من خلال هذه الورقة التطرق لمنهج الناتنوغرافي في شقه النظري و كذا المنهجي بإعتباره أحد المناهج التي أثبتت كفاءتها في دراسة مواضيع المنبثقة عن هذه الفضاءات، مع التطرق لبعض الرهانات التي تواجه استخداماته في دراسة الفضاءات الإفتراضية. و ذلك من خلال الخطة التالية:

2.محددات و مظاهر الفضاءات الإفتراضية.

3.المناهج الإفتراضية و إشكالية القطيعة أم الإستمرارية مع المناهج التقليدية.

4.الأطر النظرية و المفاهيمية للنتنوغرافيا.

5.الأطر المنهجية لبحوث النتنوغرافيا.

6.الرهانات المنهجية و الأخلاقية .

2. محددات و مظاهر الفضاءات الإفتراضية

تعد الفضاءات الإفتراضية بمثابة فضاءات سوسيوتقنية **Socio-technical environments** تقوم أساسا على مبدأ التشارك و المرونة وسهولة الولوج و إتاحة التواصل التفاعلي و الآني للفاعلين الاجتماعيين، بفضل ماتوفره من ميزات تقنية متنوعة أهمها التعايش بين الأنساق التقنية و الأنساق السوسيولوجية.[1] كما جمعت هذه الفضاءات كل الوسائل الإعلامية و الإتصالية الأخرى:تلفاز،إذاعة، فضائيات، هواتف نقالة، فلم تصبح هذه الأخيرة منفصلة و باتت مترابطة في إطار إتصالي تفاعلي مفتوح يعرف بمفهوم **الأنفوميديا**،[2] و حسبنا ظهور هذه الفضاءات الإفتراضية يعد بمثابة لحظة مفصلية تحتاج لفهم جديد نظرا لما أفرزته من ثقافة إنسانية جديدة و النظر فيما إن كانت هذه الثقافة إنبنت على أساس القطيعة مع ممارسات الحياة الواقعية أو تشكل إمتدادا لها بحيث تعمل على مساعدة المستخدمين في تجسيد ذواتهم **embody themselves** من خلال حسابتهم الشخصية التي تميزها الإستمرارية حيث أنها تبقى موجودة حتى و لو سجل المستخدم خروجه منها. إلى جانب ذلك، تعد هذه العوالم الافتراضية عوالم خائلية تحتضن ممارسات و طقوس و أدوات و أشكال مبتكرة من التعبير و الإبداع و التواصل و التفاعل، تمثل هذه الفضاءات نقطة تقاطع و قطيعة بشكل متوازي بين تصورات المصممين التكنولوجيين **Designers technology** من جهة و المستخدمين من جهة أخرى **Users technology** فالمستخدمون عادة ما يقومون بإنتاج ممارسات جديدة من خلال تطويع المعطيات التكنولوجية بشكل يختلف عن تصورات مصممي هذه التكنولوجيات، و تشارك الفضاءات الإفتراضية الكثير من التفاصيل مع

نظيرتها الفيزيقية الواقعية ففي الوقت التي تفرض فيه الفضاءات الإفتراضية ممارسات سوسيولوجية وثقافية جديدة وتضم فاعلين يعملون على عرض هوياتهم بشكل روتيني فإن العوالم الواقعية الحقيقية كذلك تحتضن في فحواها نفس هذه الممارسات و الطقوس.[3] و عليه فإن المجتمع الإفتراضي لا يتماهى في وجوده مع الوجود الواقعي الفعلي فهذا الأخير لم يتحقق كليا كما لا يمكن إنكار وجوده و قابل في أي لحظة إلى التحقق الفعلي الواقعي، وفر هذا الفضاء الإفتراضي مجالا إجتماعيا جديدا للمستخدمين للقيام فيه بتفاعلات إجتماعية جديدة قوامها الإهتمامات و القواسم المشتركة بينهم ليجسدوا فيما بينهم مجتمعا إفتراضيا تصاغ فيه علاقات إجتماعية إفتراضية و كذا مؤانسات رقمية زادت من إنتشار هذه الظاهرة الجديدة ظاهرة الفضاءات الإفتراضية التي ولدت لنا شكلا مستحدثا من المجتمعات و هي المجتمعات الإفتراضية التي يمكن إعتبارها على أنها مجموعات سوسيوثقافية تنشئ على شبكة الأنترنت يشارك فيها عددا معتبرا من الأفراد و يشكلون من خلال إندماجهم في هذه المجموعات في مواضيع مختلفة عدة تفاعلات تتكون على أساسها مختلف الشبكات الإجتماعية الإنسانية التي يتشكل نسيجها في رحم هذا الفضاء الرقمي الإفتراضي، و لو أن هذه التفاعلات الإفتراضية شهدت حالة من التقاطب بين توجهين، توجه يمثلها كتفاعلات حية حقيقية ، و آخر يمثلها على أنها تفاعلات مصطنعة غير حقيقية،[4] و في ذات الشأن يرى **Kozinet** أن هذه البيئة الإجتماعية الإفتراضية هي مجرد فضاء مولد لتفاعلات إجتماعية لحظية و غير شخصية و غير مستقرة.[5] و حسبنا إن دراسة هذه الفضاءات الإفتراضية تحتاج إلى إعادة تمثل و صياغة لهذه العوالم و التفاعلات الإفتراضية و كذا الحدود الفاصلة بين كل ما هو واقعي و إفتراضي، و أوردت الباحثة **محجوبة قاوقو** أن هذا المجتمع الإفتراضي الناشئ في رحم هذه الفضاءات الإفتراضية ما هو سوى مجموعة آثار رقمية يتركها الأفراد بعد إجتماعهم على نحو إفتراضي أي أننا لا نرى من الكائن الإفتراضي سوى رواسبه الرقمية و لا نستدل على حضوره الإفتراضي إلا من خلال ما يتركه من آثر داخل مختلف المواقع و الشبكات التي قام بزيارتها أو بالتفاعل مع مضامينها،[6] و إذا كانت الجماعات الإجتماعية تتشكل في العالم الفيزيقي على أساس روابط الهوية المشتركة (**Common Identity**) أو المصلحة المشتركة فهو ما ينطبق أيضا على الجماعات الإجتماعية داخل السياقات الإفتراضية من حيث أن أفرادها يتشاركون من حيث الهوية أو المصالح و الأهداف.[7] وعليه يمكن القول أن الفضاءات الإفتراضية **Virtual Spaces** هي مساحات وسائطية جديدة غيرت فعليا من كيفية التواصل و التفاعل الإنساني و طرق تشكيل الجماعات و أنساق الفعل الإجتماعي و الثقافي و آليات تشييد الهويات و تمثيلها بالكامل، مما أمكن من توليد ثقافة مرنة و مفتوحة بإمكانها إستيعاب مفاهيم سوسيولوجية جديدة عن الذات والهوية و الجماعة و الفعل الإجتماعي وغيرها. فالأمر لم يصبح مجرد تواصل و تفاعل إفتراضي ينقضي بإنسحاب الفرد من هذا

الفضاء بل أصبح يمثل ما هو أبعد من ذلك فهذه الفضاءات الإفتراضية ساهمت في تشكيل أرشيف من العلاقات و التفاعلات الإجتماعية باتت توجه موضوعات دراسة بأكملها في البحث السوسيولوجي، و إذا كانت هذه الفضاءات تحتضن مجموعة من التجارب الفردية و كذا الجماعية للأفراد هذه التجارب التي أصبحت توجه أبحاثا بعينها تجاهها إهتم الباحثون في العديد من الحقول المعرفية بها، و بما أن هذه الفضاءات و المجتمعات الإفتراضية باتت ميدانا مهما للبحوث العلمية الحديثة أصبح من الضروري أيضا أن نتساؤل إن كانت أبحاث هذا الفضاء ستؤسس لمناهج جديدة مكيفة لدراسة ميادين الدراسة الخاصة بهذه الفضاءات أم سيتم دراستها من خلال إعادة تهيئة المناهج السوسيولوجية التقليدية بما يتلائم و معطيات هذا الأخير، و هو ما سنحاول إستقصائه و مسائلته من خلال العنصر الموالي.

3. المناهج الإفتراضية و إشكالية القطيعة أم الإستمرارية مع المناهج التقليدية:

إن البحث في الموضوعات المتعلقة بالفضاءات الإفتراضية و كذا طبيعته الخاصة به باتت تطرح عدة إشكالات للباحثين، و هو ما يجعلنا نتسائل عن نجاعة مناهج البحوث الإجتماعية التقليدية في معالجة مواضيع الفضاءات الإفتراضية، فإن ظهور أشكال جديدة من الفضاءات و من التفاعلات الإجتماعية يعيد إثارة سؤال المنهج إلى الواجهة، فإذا كانت التكنولوجيا قد غيرت من بنية أشكالنا و تفاعلاتنا الإجتماعية و كذا تحولنا للعيش في قرية صغيرة وفقا لمارشال ماكلوهان فإنها لا محال قد غيرت من طبيعة المناهج المتعامل معها التي تعمل على دراسة هذه التفاعلات المنتجة داخلها. و هو ما سنحاول إستقصائه من خلال هذا العنصر، و لكن أولا و إحتراما للخلفية المعرفية لا بد من التعريف بمناهج البحث التقليدي ثم الإنتقال إلى نظيرتها الإفتراضية و من ثمة العلاقة بين الإثنين.

من بين أهم تصنيفات المناهج العلمية: مناهج علمية تقليدية ومناهج علمية جديدة و ذلك وفقا لجدة و أصالة هذه الأخيرة. تعرف الأولى حسبنا على أنها مختلف مناهج البحث التقليدي الكلاسيكي في شكلها الكمي و كذا الكيفي والتي تعمل على تأطير مختلف البحوث و في مختلف الأطر. كما يمكن النظر إلى تلك المناهج على أنها مختلف طرق التفكير التي يعتمدها الباحث الإجتماعي للبحث و التقصي حول إحدى ظواهر مجتمعه الطبيعي الفعلي و تبدأ هذه الأخيرة من مرحلة تحديد مشكلة البحث وصولا إلى النتائج. أما عن نظيرتها أي المناهج الإفتراضية الحديثة فنقصد بها تلك التقنيات البحثية التي تقوم على معالجة مختلف المعطيات الكمية و الكيفية التي ولدت في رحم الفضاء الإفتراضي، كما يمكن أن نعرفها على أنها مناهج البحث الإجتماعي التقليدي التي تم تطويعها بعدما تطورت إلى الفضاء الإفتراضي.

منذ ثمانينات القرن الماضي توجه السؤال حول آثار و تأثيرات إستخدامات الأنترنت على المجتمع و حظي و لا يزال يحظى هذا الموضوع بإهتمام كبير من

قبل العديد من الباحثين في مختلف الحقول المعرفية، تزامن مع ذلك سؤال المنهج و لو أن هذا الأخير كان بدرجة أقل، فأصبح هذا الأخير (المنهج الإفتراضي) يفرض نفسه في دائرة البحث الإجتماعي مما أفضى إلى تطوير منهجيات و أدوات تتلائم و فضاء الدراسة، و بذلك إنطلقت الأبحاث في هذا السياق مع نهاية التسعينيات و كان لهذه الأخيرة في تلك الفترة بالذات توجهين، أنصار الإتجاه الأول يتجهون نحو إعتماد مناهج البحث التقليدي مع طبيعة الفضاء الإفتراضي الرقمي، أما أنصار الإتجاه الثاني و هي قلة قليلة فقد إتجهوا إلى إعتبار عناصر البيئة الرقمية كآداة تحليلية إعتمادا على مبدأ التناص في بعده الرقمي، مما سبق يمكن القول أن سؤال المنهج في فترة التسعينات كان يبحث في طرق و كيفيات تمكن من تطويع و تبيئة منهجيات البحث التقليدي مع معطيات الفضاء الإفتراضي أكثر من العمل على إنتاج إطار منهجي خاص بالفضاء الإفتراضي. و مع مطلع القرن الحادي و العشرين و إزدياد وتيرة إستخدام الوسائل التكنولوجية بمختلفها بات من الضروري رقمنة مناهج البحث الإجتماعي و ذلك ما سعى إليه العديد من الباحثين من خلال الإستفادة من المعطيات التكنولوجية و تقنياتها للوصول إلى مناهج تمكن من إستيعاب معطيات الفضاء الإفتراضي. و بالرغم من إختلاف الفضاء الحاضن للظواهر المراد دراستها بين فضاءات واقعية و إفتراضية إلا أن المناهج التي تؤطر للبحوث فيها تجتمع حسبنا في جملة من الخصائص كإتباع طريقة علمية منظمة في التفكير و الإنجاز، تنفيذ الخطوات بشكل متسلسل، إتصاف الباحث بالموضوعية و الحياد، و كذا القدرة على التنبؤ. و حسبنا فإن العلاقة بين مناهج البحث الإجتماعي التقليدي و نظيرتها الإفتراضية لا يجب أن تقوم على مبدأ التراتيبية أو الصراعية التي تؤسس للقطيعة بين الإثنين، بل لا بد أن تسير وفقا لمبدأ تكاملي بغية الوصول لفهم أعمق للمجتمعات المدروسة بشكليها الحقيقي و كذا الإفتراضي، فهذه الإشكالية البحثية لا يمكن إعتبارها على أنها موضة بحثية بقدر ما هي معطيات بحثية جديدة تفرض نفسها و بشدة في السياق الراهن. و في هذا السياق يفرق **روجرز** بين المناهج التقليدية التي تكتسي الصبغة الإفتراضية و بين تلك التي هي بالأصل ذات ميلاد إفتراضي رقمي، كما يتحدث عن نهاية المناهج التي تكتسي الصبغة الإفتراضية و التدشين لحقبة جديدة من بحوث الأنترنت ففي نظره هذه الشبكة لم تعد مجرد موضوع للدراسة بل أصبحت مجالا لخلق تقنيات وأدوات منهجية جديدة تتكيف و هذا الفضاء الإفتراضي،[8] كما يمكن القول أن الإضافة العلمية في إطار التطور المنهجي هي مسألة لا ينبغي أن نوردها ضمن ثنائية القديم و الجديد فالمطلوب هو الوصول إلى إرساء قواعد منهجية جديدة تمكن من دراسة المواضيع الخاصة بهذه الفضاءات الإفتراضية و الوصول إلى معطيات ذات أكبر قدر من الموضوعية و الفعالية. و ما على الباحث المهتم بالبحث في الفضاءات الإفتراضية إلى أن يحدد موقعه ضمن هؤلاء فإما أن يعمل على تطويع المناهج التقليدية لدراسة فضاءات إفتراضية أو

يحاول تدريب نفسه على إستخدام مناهج البحث الإجتماعي الإفتراضي التي بنيت بالأساس لدراسة هكذا فضاءات و على كل حال فإن الباحث في هذه البيئة البحثية مطالب بالإضافة العلمية إستنادا للتراب العلمي في كل الأحوال.

4. الأطر النظرية و المفاهيمية للنتنوغرافيا:

يعتبر المنهج الإثنوغرافي حسب العديد من الباحثين الركيزة المنهجية الأنجع في تحليل شبكات الفضاء الإفتراضي و ذلك من الناحية المتعلقة بتأثيراتها النفسية و الإجتماعية، و قد يعود ذلك إلى ميزة هذا الأخير الفائقة في تجاوز الصعوبات المتعلقة بالسلامة الإحصائية التي تتبناها المناهج الوضعية و تعتمد عليها البحوث الإستنباطية و التي تصر عليها بحوث الإعلام التقليدي في الغالب. و تجدر الإشارة إلى أن هذا المنهج يعمل على الوصول إلى إستنتاجات كيفية لظاهرة شبكات الفضاء الإفتراضي و لا يولي أهمية كبيرة للبيانات الكمية. و بفضل نجاعته في تحليل هذه الأبنية الإفتراضية تم إستحداث تسميات له في تعامله مع الوسائط الجديدة حيث أطلق عليه **روبرت كوزينيتز** مصطلح **النتنوغرافيا**.[9] حيث يقوم هذا المنهج وفقا **لروبرت كوزينيتز** على القرب من الظاهرة من خلال مشاركة الباحث فيها حيث تتم الإستعانة بمفهوم الحقل كما هو معتاد في البحوث الإثنوغرافية التقليدية، و يؤكد على أن الفضاء الإفتراضي و تفاعلاته يعد حقلا صالحا للدراسة بإمتياز و هو ما سماه من منطلقه **التجذر الإلكتروني Online groundedness**.[10] و في ذات الحين سمته الباحثة **كرستين هاين** بالإثنوغرافيا الإفتراضية، واصفة إياه بالمنهج الذي يقوم على الإنخراط في المجتمعات الإفتراضية من خلال محاولة ملاحظة مختلف التفاعلات و الأنشطة الإفتراضية التي تتم داخله.[11] و عليه يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها أن الفرق الجوهري بين كل من الإثنوغرافيا التقليدية و النتنوغرافي هو مجال التفاعلات و الفضاء التي تنشط فيه كل منهما فالأولى تنشط من خلال التفاعلات الإجتماعية الطبيعية و الثانية من خلال نظيرتها الإفتراضية، من الناحية اللغوية يتركب مصطلح الناتنوغرافي **Nethnography** من شقين أساسيين الإثنوغرافي**ethnography** و النت **Net**، تعتبر هذه الأخيرة شكلا من أشكال البحوث النوعية التي تتيح للباحثين تحصيل و جمع البيانات داخل السياقات الثقافية أو الإجتماعية موضع الدراسة.[12] أما من الناحية الإصطلاحية فقد تعددت و إختلفت التسميات التي تطلق على البحث النتنوغرافي فهناك من يطلق عليه الإثنوغرافيا الرقمية **Degital Ethnography**، الإثنوغرافيا الإفتراضية **Virtual Ethnography**، إثنوغرافيا الأنترنت **Internet Ethnography**، و لكنها في نظر العديد من الباحثين تسميات مضللة و مبالغ فيها فحسبهم أن البحث الإثنوغرافي يمكن تطبيقه و بسلاسة في الفضاءات الإفتراضية، كما أن الإثنوغرافي يقوم بعمله في الفضاءات الإفتراضية كإثنوغرافي **Ethnographer** وليس كإثنوغرافي إفتراضي **Virtual Ethnographer**.[13] وعلى الرغم من تعدد المصطلحات المستخدمة إلا أن الفاصل بين الإثنين هو تحول النشاط البحثي الإثنوغرافي من ملاحظة التفاعلات المواجهية ضمن الفضاءات المشتركة **Co-located face-to face interactions** إلى ملاحظة تفاعلات مموسطة تكنولوجيا داخل فضاءات شبكية مبنية على ممارسات ثقافية سيبرانية، أما بالنسبة للنتنوغرافي كمنهج فهو منهج تأويلي **Interpretive Method** أبتكر

خصيصا لدراسة سلوكات الأفراد و ثقافاتهم و ممارساتهم داخل الفضاءات الإفتراضية عن طريق آليات نظرية و منهجية مستنبطة من علوم إجتماعية متعددة و متباينة.[14] كما أنه عبارة عن جهاز مفاهيمي و منهجي تم تطويعه لدراسة الظواهر المتولدة عن التفاعلات و التمظهرات الثقافية الإفتراضية و التي تحيل إلى جملة من المناهج المتشابكة و المطوعة لدراسة الظواهر الناتجة عن الإتصال الوسائطي الإجتماعي، و تقوم أساسا على العمل الميداني الإفتراضي.[15] تتأسس هذه الأخيرة بالأساس على المبادئ التقليدية للبحث الإثنوغرافي كالملاحظة بالمشاركة، فهذه الأخيرة تحاول فهم السياقات الثقافية التي تحصل فيها التفاعلات الإجتماعية في كلا العالمين الواقعي و الإفتراضي. و يعد أيضا إستخدام دراسة الحالة الإفتراضية أحد تطبيقات منهج الناتنوغرافي حيث يتم فيها جمع الإستجابات و المقابلات من خلال أحد الوسائط الإتصالية الجديدة محاولين بذلك الوصول إلى إستنتاجات كيفية يمكن من خلالها توصيف الظاهرة المدروسة.

يرى الباحث **Boellstorff** و زملائه أن المنهج النتنوغرافي يتطلب الإنغماس في الحقل الميداني وذلك من خلال توظيف توليفة متنوعة من المناهج والأدوات و التي تعد الملاحظة بالمشاركة أهمها،[16] ذلك لأن الغرض الأساسي من الدراسات التي توظف النتنوغرافي هو الإمساك بتجليات و تفاصيل الحياة لا تعريض المتفاعلين للتجربة المخبرية و متابعة التفاعلات خارج السياق، و بذلك فهي تركز على فهم الكيفيات التي تؤثر بها الثقافة على الأفراد و كيف يسهم هؤلاء في تشكيل الثقافة و إثرائها. كما تعمل على إستهداف و تأويل و ترجمة التوجهات المعقدة في الحياة اليومية التي تحتضن تجاربنا الفردية و الجمعية المعاشة.

5.الأطر المنهجية لبحوث النتنوغرافيا:

يهدف البحث النتنوغرافي في أساسه لدراسة المعاني الرمزية و أنماط تفاعل مستخدمي الأنترنت و إستهلاكهم للمضامين الثقافية و التواصلية في السياق الإجتماعي للبيئات الرقمية، فالنتنوغرافي هي آلية منهجية للبحث في التفاعلات الإفتراضية و ماينجر عنها من ثقافات و أطر معيارية و ممارسات إجتماعية و رمزية عن طريق الملاحظة بالمشاركة **Participant Opservation**، ما يحسب للبحث النتنوغرافي أنه يفسح المجال لإلتحام العديد من المقاربات و المناهج البحثية فعادة ما يستخدم في هذا النوع من البحوث المناهج الإستقصائية و المسوح و المجموعات البؤرية و كذا المقابلات و التحليل الشبكي الإجتماعي.[17] و استحدثت عدة برامج تعمل على تحليل مختلف المعطيات الكيفية بواسطة الحاسوب و لعل من أهمها هو برنامج **أطلستي** هذا الأخير له القدرة على الجمع بين المعطى الكمي و الكيفي نظرا للإختيارت الكثيرة التي يتيحها للباحث،[18] يعمل هذا البرنامج على توفير المعطيات للباحث و كذا يساعده على التفكير النظري و التحليلي، يحوي هذا الأخير عددا من الأدوات التقنية التي من شأنها تمكين الباحث من تخزين المعطيات و عرضها بطرق مختلفة فضلا عن أنه يتيح إمكانية الجمع بين المنهج الكمي و كذا الكيفي، و يمر هذا البرنامج في طريقة تحليله للتفاعلات الإفتراضية بمجموعة من المراحل الموجهة لهذا البحث الميداني، أولها جمع المعطيات و حفظها: فالمهمة الأساسية

للبرنامج هو حفظ المعطيات و تنظيمها و ترميزها و تحليلها أما عملية جمع المعطيات فتبقى مهمة الباحث، تنبني هذه المرحلة بالأساس على مبدأين أساسيين يتعلق الأول بعدم تأجيل تحميل ما يمكن تحميله إى الغد لأن في ظل معطيات الفضاء الإفتراضي ما هو متوفر اليوم قد لا يمكن توفره غدا، أما الثاني هو ضرورة تحميل فائض من المعطيات و ذلك لتجنب الوقوع في مشاكل تقلص حجم العينة أثناء عملية السحب، ويندرج هذا الإجراء كحل إحترازي لتجنيب الباحث المشاكل الناجمة عن إقصاء بعض الوحدات الإلكترونية لعدم توفرها على الشروط المطلوبة، أما عن مرحلة ما قبل الترميز: فيعمل الباحث من خلالها على حفظ المعطيات بالطريقة التي يتطلبها البرنامج حتى تسهل على هذا الأخير عملية إخراج البيانات في شكلها المطلوب، و عن مرحلة الترميز: فإن العمل فيها يفتح للباحث آفاق التموقع ضمن ثلاث مقاربات (الإستنباطية، الإستقرائية، المقارنتية) و هو يختار أيهم أنجع و أصلح لمعطيات بحثه، و تجدر الإشارة إلى أن إعتماد الباحث على برنامج لتحليل المحتوى الإلكتروني لا يلغي مهمته كمؤطر و مسير للبحث فالبرنامج لن يعمل كمفرغ و مرمز للبيانات كما يعتقد الكثيرون، بل هو مجرد أداة تساعد على التحليل لكنها أبدا لا تحل محل الباحث.[19]

و حسبنا فإن البحث الناتنوغرافي ينبني على خطوات منهجية ترتبط بنيويا فيما بينها لتشكل إطارا متكاملا لدراسة الظواهر الإفتراضية، و في هذا السياق طرح **Robert Kozinets** جملة من الخطوات لخصها في التالي: بالنسبة للخطوة الأولى تصميم البحث **Research Planing** يتم فيها صياغة أسئلة البحث و تحديد مجتمع الدراسة المستهدف، و في هذه المرحلة بالذات لابد للباحث أن يحدد المتغيرات التي سيعمل على دراستها و كذا المبحوثين، إضافة إلى إنتقاء الأدوات و المنهجيات المناسبة لطبيعة الموضوع. أما الخطوة الثانية الخاصة بجمع البيانات **Data Collection** فيقترح فيها الباحث جملة من الخطوات، أولها أن يكون مجتمع الدراسة ذات علاقة إرتباطية و مباشرة بموضوع الدراسة و مجالها، أن تكون المجموعة المختارة ديناميكية و نشطة، أن يكون التفاعل مستمرا و ساريا بشكل سلس، أن يكون مجمل أفراد المجتمع المبحوث مشاركون في التفاعلات الإفتراضية، و كذا أن تتسم هذه المجموعات بالتنوع المطلوب، كما يجب أن تكون مفعمة بالمعطيات بحيث توفر للباحث منصة من الممارسات التواصلية و المضامين التفاعلية. أما عن الخطوة الثالثة الخاصة بالتحليل والتفسير **Interpretation** تتجلى عادة هذه البيانات في الفضاءات الإفتراضية من خلال ثلاث أشكال: معطيات يجمعها الباحث بشكل مباشر من خلال فضاء المجموعة قيد الدراسة، معطيات يتم جمعها عن طريق تسجيل التفاعلات الإفتراضية و مضامين الإتصال، معطيات يتم بنائها و إستنتاجها عن طريق الملاحظة المباشرة للباحث. كما يشدد الباحث على ضرورة الإلتزام بالمعايير الأخلاقية **Ensuring Ethical Standars** في كل خطوة من الخطوات المنهجية السابقة، في حين أن الخطوة

الخامسة المتعلقة بمرحلة التمثيل البحثي **Researsh Representation** تكون عن طريق بناء نظام تحليلي ترميزي و دلالي عن طريق موضعة الأفعال التواصلية في سياقاتها الإجتماعية و الثقافية.[20] و على صعيد آخر يمكن القول أن بحوث النتنوغرافيا تقتصر على التركيز الضيق على مجموعات إفتراضية بعينها و على عينة محدودة إحصائيا، مما يجعلها في كثير من الأحيان غير قادرة على تقديم تفاصيل كاملة للتجارب الإجتماعية الحية، كما يتطلب هذا النوع من البحوث نوعا خاصا من الكفاءة التفسيرية و التفاعل مع المعطيات، إضافة إلى صعوبة تعميم النتائج على المجموعات أو الأفراد خارج العينة الإفتراضية المدروسة. و مع ذلك يمكن تجاوز هذه المعوقات و ذلك يكون من خلال ترسيم حدود منهجية و معرفية واضحة و العمل على إستقراء نتائج البحث على مستوى الفضاء الإفتراضي في ظل معطيات الواقع الإجتماعي للمبحوثين على وجه الخصوص.

6.الرهانات المنهجية و الأخلاقية :

تجدر الإشارة أنه في الوقت الذي تمكنت فيه مختلف التكنولوجيات الرقمية من توليد أشكال مختلفة و جديدة من الأنساق الإجتماعية و الممارسات الثقافية و العلاقات الإنسانية فرضت هذه التحولات على الباحثين إعادة تكييف المنظومة المنهجية و الإبستمولوجية داخل حقل العلوم الإنسانية و الإجتماعية حتى تلائم المستجدات الثقافية و الإجتماعية ذات الطابع الإفتراضي الرقمي، إلا أن محاولات إبتكار منظومة بحثية جديدة **(Netnography)** طرح جملة من الرهانات المنهجية و الأخلاقية على رأسها الإفتقار لعنصر التفاعل المواجهي **(Lack of interaction face-to-face)** بين كل من الباحث و المبحوثين داخل الفضاءات الإفتراضية، فيشكل بذلك هذا الأخير إشكالا منهجيا حرجا، إضافة إلى ذلك فإن شكل المعطيات داخل هذه البيئة هو نصي مما لا يتيح الإطلاع على مختلف الإستبصارات السوسيولوجية **(Social Cues)** التي من شأنها إثراء المعطيات البحثية فالتواصل النصي وحده غير كاف كونه يفتقر للتعابير الشفهية و النبرة الصوتية و غيرها، و في هذا السياق يرى الباحث **Kozinets** أنه لابد من الإستعانة بتقنية المقابلات الإفتراضية كونها تتيح فهما أعمق لتجارب المبحوثين داخل الفضاءات الإفتراضية.[21] و في ذات الحين يرى الباحث **(Paechter)** أن المعطيات المتحصل عليها داخل الفضاءات الإفتراضية أيضا تشكل تحديا منهجيا آخرا بحيث غالبا ما تكون متشعبة، غير متسقة و متناثرة داخل الفضاء الإفتراضي مما يصعب عملية تقنينها و يفرض على الباحث إنتقائية خاصة إذ يصبح ملزما على فحص بروفايلات المتفاعلين و كذا المجموعات المشاركين فيها و بذلك تعد العملية مركبة تستهلك من الباحث الكثير من الجهد و الوقت،[22] ولذلك ينصح **Kozinets** الباحثين بتوظيف البرمجيات الجديدة التي تسهل عملية جمع و فرز و تصنيف المعطيات داخل الفضاءات الإفتراضية، و على رأسها برنامج **CAQDAS (Computer Assisted Qualitative Data Analysis)** الذي يعد من البرامج شائعة الإستخدام بين الباحثين

في حقل بحوث النتنوغرافيا نظرا لمرونته و سهولة إستخدامه.[23] يجزم معظم الباحثين أن النشاط البحثي داخل الفضاءات الإفتراضية و بالخصوص مواقع الشبكات الإجتماعية أصبح يطرح العديد من الإشكالات الأخلاقية سواءا من حيث طبيعة المجموعات المدروسة أو كيفية التعامل مع هذه المعطيات نفسها دون المساس بخصوصيات المبحوثين، و لحد الآن لم يتم الإتفاق على المعايير الأخلاقية التي توجه سير هذا النوع من البحث الإجتماعي داخل هذه الفضاءات الإفتراضية. و يوجز في هذا السياق الباحث **KOZINET** الخطوط الأخلاقية التي ينبغي أن يحترمها الباحثون في بحوثهم الإفتراضية في التالي: على الباحث أن يكشف عن حضوره داخل المجموعات الإفتراضية و أن يطلب الإذن من أفراد المجتمع المدروس، و كذا لا بد أن يكشف عن هويته الحقيقية و أهدافه و غاياته البحثية، ناهيك عن التعهد بعدم البوح بالمعلومات الخاصة بالمبحوثين، و إعطاء أهمية لعنصر رجع الصدى **Feedback** مع المبحوثين بشكل ديناميكي و مستمر.[24] و يرى **Zimmer** في ذات الشأن أنه من أكثر القضايا الأخلاقية المطروحة اليوم في سياق البحوث الإفتراضية هي الخصوصية **Privacy**، إحترام السرية **Confidentiality**، التمثيل العددي **Respectful Representation**، الكشف عن هوية الباحث، حماية بيانات المبحوثين **Protection Of Research**، و كذا تلاشي الحدود بين العام و الخاص.[25] و في ذات السياق يرى العديد من الباحثين أن مسألة ملكية المعطيات مسألة منهجية شائكة، فحسبهم المعطيات التي يحصل عليها الباحث دون الحاجة للإنضمام للمجموعة أو الولوج عن طريق رقم سري هي معطيات عامة **(Puplic Data)** و لا تدخل في إطار الخصوصية و يدخل ما يتم نشره على صفحات المواقع الإجتماعية من نصوص و مضامين ضمن حدود الخصوصية، في حين لاتعد التعليقات ملكية خاصة بحيث يجوز الكشف عنها و نسخها و فحصها و دراستها دون إعلام أصحابها مسبقا و إلتماس الإذن منهم.[26] عطفا على ما سبق و من وجهة نظرنا فإن التجديد بقدر ما يستدعي تحقيق تراكم منهجي على مستوى تقنيات البحث و أدواته فإنه يستدعي إلى بناء ميثاق لأخلقة البحث داخل هذا الفضاء الرقمي بحيث يتمكن من ضمان حق الباحث (بحثه) و المبحوث (خصوصية بياناته) و عليه فإن النقاش المطروح في هذا المقال لا يزال يحتاج للعديد من الإجتهادات في مختلف جوانبه و التي من أهمها تلك الخاصة بالرهانات الأخلاقية التي يفرضها إستخدام هذا المنهج كالخصوصية، مجهولية الهوية، صعوبة الحصول على المعطيات السوسيو-ديموغرافية و غيرها من الإشكالات الأخرى.

7. خاتمة:

إستنادا لما سبق يمكننا أن نقر بأن الوسائل التكنولوجية المتطورة بما فيها الأنترنت بمختلف شبكاتها الرقمية ساهمت في تطوير مختلف البحوث السوسيولوجية سواءا بإعتبارها منهجا أو أداة لجمع البيانات و المعلومات أو لكونها موضوعات للبحث، كما عملت هذه الأخيرة على تعزيز موقع البحوث الكيفية كالبحث الناتنوغرافي متنصلة بذلك عن هاجسها

القديم المتمثل في إقترابها من العلوم التطبيقية، فالناتنوغرافي حملت في ثناياها تحقيق التعرف على بنية التفاعلات الإفتراضية و إستكشاف الفاعلين فيها، و بذلك يعد الإلمام بمنهج الناتنوغرافيا من الأسلحة المنهجية التي تمكن الباحث من إستكشاف العوالم الإفتراضية و سياقاتها التفاعلية و التجارب التواصلية للمستخدمين كما تعد فرصة لدراسة مختلف الممارسات الأنتربولوجية التي تتم على هذه الفضاءات الإفتراضية، كما نعتقد أن بحوث الفضاءات الإفتراضية أصبحت اليوم تمتلك رصيدا معرفيا استنادا للبحوث التي إعتمدت على هذه المناهج الجديدة في الإجابة عن أسئلة بحثية تم إفرازها حديثا كان يصعب الوصول إلى إجابات عليها في ظل الإعتماد على مناهج و أدوات البحث التقليدي نتيجة لإفتقارها لآليات البحث الجديدة في السياق التكنولوجي الراهن .

8. قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- الكتب:

1-حسام الدين فياض ،**بناء المجتمع التواصلي (التشاوري) عند يورغن هابرماس فكرة المجتمع الجديد،دراسة في النظرية النقدية المعاصرة**،ط1، 2018.

2-رحومة علي محمد،**علم الاجتماع الآلي:مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب**، عالم المعرفة،الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،2008.

- المقالات:

3-بركات مطاوع، **الواقع الافتراضي:فرصه ومخاطره وتطوره دراسة نظرية**، مجلة جامعة دمشق،المجلد22،العدد2 ،2006.

4- محجوبة قاوقو ، **المجتمع الإفتراضي وإشكالية تجديد منهج البحث السوسيولوجي نحو بناء نموذج لدراسة التفاعلات الإلكترونية بواسطة الحاسوب**، مجلة عمران للعلوم الإجتماعية،المجلد 08،العدد29، 2019،

- المحاضرات الغير منشورة:

5-فتحية معتوق ، محاضرات دكتوراه غير منشورة، مقياس مقاربات الوسائط الجديدة،جامعة الجزائر3، بتاريخ2016/02/13.

المراجع باللغة الاجنبية:

6-Barney G. Glaser ,Anselm L, Strauss ; **The Discovery of Grounded Theory Strategies for Qualitative Research** ; Aldine Transaction ;Publishers New Brunswick (U.S.A.) and London (U.K.) ;1967.

7-Craig Calhoun ;**In direct relationships and imagined communities :Large scale social integration and the transformation of every day life.In :Bourdieu pierre and Colman James** ;(eds) ;Social theory for a changing society ;USA;1991 .

8-Daniel Miller and don slater ; **The internet : An Ethnographic Approach** ; Oxford berg ; chapiter 1; 2000.

9-Denise Carter ; **Living in virtual communities: An ethnography of human relationships in cyberspace** ;Information Communication and Society ;8(2) ; 2005;pp148-167.

10-Gary Bowler ; **Netnography :A method specifically Designed to study cultures and communities online** ; The Qualitative Report ; 15(5) ; 2001 ;pp1270-1275.

11-Henderson ,Johnson ; **Silences of ethical practice :dilemmas for researchers using social media** ; Educational research and Evaluation ; 19(6) ; 2013 ; pp 546 -560.

12-Karen cerulo ; **Reframing Social concepts for a brave new virtual world** ; sociological inquiry ; 1998 ; p51 .

13-Kozinets Robert ; **The field Behind the screen :using Netnography for making research in online communities** ; journal of marketing research ; february ; 2002 ; vol39 ; pp61-72 .

14-Kozinets Robert ;**Netnography :Doing Ethnographic Research Online** ; Sage publications ;2010.

15-Kristina Heinonen and Gustav Medberg ; **Netnography as a tool for understanding customers: implications for service research and practice** ; Journal of Services Marketing 32 (6) ; 2018 ; 657–679.

16-Michael Zimmer ; **But the data is already puplic : On the ethics of research in facebook .Ethics and information Technology**; 12(4) ; 2010,p313-325.

17-Nancy Baym,**Communication Practices in the online community ; In levinson ;** Encyclopedia of community .

18-Paechter Carrie ; **Researching sensitive Issuess Online : implications of a hybrid insider/outsider position In a retrospectiveethnographic study** ; 13(1) ; 2012 ; pp 71-86.

19-Richard Rojers ;**The End Of The Virtual :Digital Methods** ; Amesterdam university press;Amesterdam ;2009 ;pp1-20.

20-Susanne Friese ; **Using ATLAS.ti for Analyzing the Financial Crisis Data ;Qalitative Social Research**; Volume 12(01), January 2011 ;Online : http://nbn-resolving.de/urn:nbn:de:0114-fqs1101397

21-Tom boellstorff ; **Ethnography and virtual worlds :Ahandbook of method** ; princeton university press ; 2012.

9. هوامش:

[1] رحومة علي محمد،**علم الاجتماع الآلي:مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب**، عالم

المعرفة،الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008،ص24.

[2] حسام الدين فياض ،**بناء المجتمع التواصلي (التشاوري) عند يورغن هابرماس فكرة المجتمع الجديد،دراسة في النظرية النقدية المعاصرة**،ط1، 2018،ص 57.

[3] بركات مطاوع، **الواقع الافتراضي:فرصه ومخاطره وتطوره دراسة نظرية**، مجلة جامعة دمشق،المجلد22،العدد2، 2006،ص56.

[4] Craig Calhoun ;**In direct relationships and imagined communities :Large scale social integration and the transformation of every day life.In :Bourdieu pierre and Colman James** ;(eds) ;Social theory for a changing society ;USA;1991 ;pp98-102.

[5] Kozinets Robert ;**Netnography :Doing Ethnographic Research Online** ; Sage publications ;2010 ; p25.

[6] محجوبة قاوقو، **المجتمع الإفتراضي وإشكالية تجديد منهج البحث السوسيولوجي نحو بناء نموذج لدراسة التفاعلات الإلكترونية بواسطة الحاسوب**،مجلة عمران للعلوم الإجتماعية،العدد29،المجلد08، 2019،ص91.

[7] رحومة علي محمد، **مرجع سبق ذكره**، ص56.

[8] Richard Rojers ;**The End Of The Virtual :Digital Methods** ; Amesterdam university press ;Amesterdam ;2009 ; p15.

[9] Kristina Heinonen and Gustav Medberg ; **Netnography as a tool for understanding customers: implications for service research and practice** ; Journal of Services Marketing 32 (6) ; 2018 ;p 670.

[10] Richard Rojers;**Op.cit** ;2009;p19.

[11] Denise Carter ; **Living in virtual communities: An ethnography of human relationships in cyberspace** ;Information Communication and Society ;8(2) ;p150.

[12] Nancy Baym ;**Communication Practices in the online community** ; In levinson ; Encyclopedia of community ; p180.

[13] فتحية معتوق، **محاضرات دكتوراه غير منشورة، مقياس مقاربات الوسائط الجديدة**،جامعة الجزائر3، بتاريخ2016/02/13.

[14] Gary Bowler ; **Netnography :A method specifically Designed to study cultures and communities online** ; The Qualitative Report ; 15(5),2001;p1272.

[15] Karen cerulo ; **Reframing Social concepts for a brave new virtual world**,sociological inquiry ; 1998 ; p51 .

[16] Tom boellstorff ; **Ethnography and virtual worlds :Ahandbook of method** ; princeton university press ; 2012 ; p08.

[17] Daniel Miller and don slater ; **The internet : An Ethnographic Approach** ; Oxford berg ; 2000 ; chapiter 1 ;p20.

[18] Susanne Friese ; **Using ATLAS.ti for Analyzing the Financial Crisis Data ;Qalitative Social Research**; Volume 12(01), January 2011 ;Online : http://nbn-resolving.de/urn:nbn:de:0114-fqs1101397

[19] Barney G. Glaser ,Anselm L, Strauss ; **The Discovery of Grounded Theory Strategies for Qualitative Research** ; Aldine Transaction ;Publishers New Brunswick (U.S.A.) and London (U.K.) ;1967 ;pp 37-38.

[20] Kozinets Robert ;**The field Behind the screen :using Netnography for making research in online communities** ; journal of marketing research ; february ; 2002 ; vol39 ; p56 .

[21] Ipid ; p56 .

[22] Paechter Carrie; **Researching sensitive Issuess Online : implications of a hybrid insider/outsider position In a retrospective ethnographic study** ; 13(1) ; 2012 ; p84 .

[23] Kozinets Robert; **Netnography :Doing Ethnographic Research Online**;Op.Cit ; p58 .

[24] Kozinets Robert ;Ipid ; p71 .

[25]Michael Zimmer ;**But the data is already puplic : On the ethics of research in facebook .Ethics and information Technology ;** 12(4) ; 2010 ; p315.

[26] Henderson ,Johnson ; **Silences of ethical practice :dilemmas for researchers using social media ;** Educational research and Evaluation ; 19(6) ; 2013 ; p546-560.